همسات في تربية البنات (١٥)

كانت المرأة في الجاهلية ذليلة مهانة ، ليس لها قدر ولا احترام ، تورث كسائر متاع ، ولا تستأمر حتى في نفسها ، فجاء الإسلام ليرفع قدرها ويضمن حقوقها ، أما كريمة وزوجة محترمة وبنتاً مصونة ، يقول الله تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾[الشورى: ٤٩ – ٥٠].

فبدأ بالأنثى قبل الذكر لأمور ذكرها ابن القيم فقال:

١. إنه بدأ بالأنثى خلافاً لعادة الجاهلية ، حيث كانوا يؤخرونها في كل شيء.
٢. تنبيهاً بفضلها والأجر العظيم في تربيتها.
٣. إكراماً لها.

---

(١٥) مجلة أسرتنا – العدد (٥١)– أغسطس ٢٠٠٤م.

والأحاديث الدالة على فضل تربية البنات كثيرة نقتصر منها على حديثين:

١. قوله ﷺ: « من كان له ثلاث بنات كن له ستراً من النار».

٢. قوله ﷺ: « من عال جارتين حتى تدركا كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وأشار إلى إصبعيه السبابة والوسطى ».

قال أحد السلف « البنات حسنات والبنون نعم والحسنات مجزي بها والنعم مسؤول عنها » والأنبياء كانوا آباء بنات عليهم الصلاة والسلام.

وموضوع التربية موضوع واسع يصعب حصر الحديث عنه وتناوله في مثل هذه العجالة ، لكنني سأقف وقفات قصيرة حول نقاط مهمة في تربية البنات خاصة أرى أن الحاجة تمس لذكرها نظراً لمعرفتي وعشرتي للفتيات في سن المراهقة في مرحلة الثانوية وما لمسته من تقصير بعض البيوت والأمهات

خاصة في هذا الجانب ، وقبل الحديث عنها أود توضيح السبب في اقتصاري على الأمهات وهو:

١. اتحاد الجنس فابنتك أنثى مثلك وأنت أقدر على فهمها من أبيها الذي ربما لا يفهم أو يقدر تكوين الأنثى وعواطفها.

٢. أنها إليك أقرب بناءً على ما سبق فالمفترض ألا يكون هناك حواجز بينكما فهي قطعة منك.

حديثي إلى الأمهات الكريمات سيقتصر على نقاط هي كالتالي:

١- ابنتك بحاجة إلى حنانك حتى بعد البلوغ!!

كثير من الأمهات لا تهتم بالجانب العاطفي ولا تعبر عن محبتها لابنتها تعبيراً صحيحاً يليق بهذه السن المليء بالتقلبات الحسية والعاطفية ، ففي مرحلة الطفولة تجد البنت من أمها الحنان والضم والتقبيل والمداعبة بشتى أنواعها. . ثم تفقد ذلك كله عندما تكبر قليلاً لتتحول العلاقة إلى جمود و

ركود يجعل في نفس الفتاة فراغاً تبحث عمن يملؤه لها بأي وسيلة.

إننا لا نريد أن تحملي ابنة الرابعة عشرة والسادسة عشرة ، ولا أن تضعيها في حضنك لكن أنواعاً كثيرة من التعبير عن المحبة يجب ألا تنقطع ولكل سن ما يناسبها ، فالتقبيل والمسح على الرأس والتدليل في النداء وغيرها أمور تحتاجها الفتاة ولو كبرت وتمنحها استقراراً نفسياً وعاطفياً يغنيها عن العواطف المزيفة التي ربما تضرها ولا تنفعها فلا تتعلق بزميلتها وتعجب بها ، ولا بمعلمتها ولا تلجأ والعياذ بالله إلى سماعة الهاتف لتسمع حلو الكلام من ذئاب البشر ، لأن العاطفة لديها قد امتلأت بحب والديها لها ، ولنا في رسول الله ﷺ خير قدوة ، فقد ذكرت عائشة رضي الله عنها « أنه ما رأى ابنته فاطمة تقبل إليه إلا قام إليها وقبل ما بين عينيها وقال: مرحباً بابنتي ».

فمتى تدرك الأمهات ذلك؟! إن العلاقة للأسف تحولت في كثير من البيوت إلى رسميات

فـالأم لا تهـتم إلا بدارسـة ابنتهـا وطعامهـا وشـرابها ولباسها على أحسن الأحوال لكنها لا تمنحها شيئاً من وقتها ولا تجلس معها تحدثها عن أمورها العامة والخاصة ، فالمطلوب حد التعامل المخلوط بالحنان لا مجرد إنفاذ الأوامر وتوفير المستلزمات فقط.

هـل جربت أن تجلسـي مـع ابنتـك أو بناتـك في غرفتهن الخاصة وتشاركيهن الحديث؟!

هـل جربـت أن تجلسـي مـع ابنتـك أو بناتـك في جلسة خاصة تتناولون الشاي وتتحدثون بـأمور العائلة وأحداث الحياة؟

أرجـو مـن كـل أم أن تمـنح ابنتهـا مـن وقتهـا وحبها الشيء الكثير ولن تندم بإذن الله.

٢- استخدام مبدأ الحوار في معالجة الأخطاء وعدم الاستعجال في العقوبة:

يقـرر علمـاء التربيـة أن العقوبـة وسـيلة ولـيس غاية لا يجب اللجوء إليها إلا بشروط وضوابط تضمن أن تـؤدي هـذه الوسـيلة دورهـا التربـوي النـاجح ، وقـد تكون العقوبة في مرحلة الطفولة رادعاً للخطأ لكـن

تأثيرها حتماً يقلل عند بلوغ الفتاة سن المراهقة ، حيث يحتمل المراهقون لتحقيق أهدافهم شتى الصعاب ولا يتنازلون عنها إلا بتغيير قناعاتهم بها ، والواقع يشهد بذلك بمجرد العقوبة لا يعالج الخطأ ، والحل مع الأخطاء في هذه السن هو: الحوار والإقناع.

وهذا الأصل التربوي مستفاد من السنة النبوية فقد ثبت في الحديث أن شاباً من الأنصار جاء النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا؟! فقال رسول الله ﷺ: أدن مني. . فدنا منه حتى جلس إلى ركبتيه فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا يا رسول الله جعلت فداك ، قال: أتحبه لأختك. . » الحديث والجوانب التربوية في هذا الحديث كثيرة منها:

١. استخدام مبدأ الحوار في معالجة الخطأ وليس مجرد الوعيد أو التهديد أو بيان الحكم ، لأن الشاب يعلم سلفاً أن الزنا حرام ولولا ذلك لم يستأذن النبي ﷺ فيه ، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يشعره بأن هذا الأمر سيئ بطريقة الحوار والمناقشة.

٢. عدم تضخيم الخطأ وضبط النفس عند معرفة حدوثه ، فلم ينهر ذلك الشاب ولم يستهجن سؤاله أو يستنكره ، بل أشعره بالمحبة والأمان فقال: ادن مني.

٣. الحرص على التواصل الجسدي مع المتلقي في مناقشة الخطأ وذلك حينما طلب منه الاقتراب ليشعر بالأمان وحينما مسح على صدره بعد محادثته ودعا له فقال: «اللهم حصن فرجه » فاستمال قلب الشاب إليه بحنان اللمسة ودعا له ليزول ما به من حرارة الغريزة التي بلغت به هذا المبلغ.

وأذكر لكم هذه القصة التي حدثتني بها إحدى الأمهات ونجحت فيها ، حيث تقول: كانت ابنتي في المرحلة الثانوية وكانت مغرمة بإحدى الممثلات وبعض المغنين ، مع العلم بأنه لا يوجد في بيتنا قنوات فضائية ، لكنها كانت تحضر هذه الصور من زميلاتها في المدرسة وأجدها في حقيبتها وبين دروسها ، وكنت كلما وجدتها مزقتها وألقيت

عليها سيلاً من الشتائم وربما انفعلت وبكيت بلا جدوى ، وأخيراً توصلت إلى الحل. .

أخذت بصورة وجدتها تحت فراشها ثم دخلت عليها وهي تذاكر في غرفتها ومعي كوب من العصير وضعته بجانبها وفرحت به ثم سألتها عن المدرسة وزميلاتها وضحكت معها قليلاً ثم أخرجت الصورة وضعتها أمامها وقلت بنبرة هادئة.

ما الذي يعجبك في هذه الصورة؟

احمر وجهها وخجلت وقالت: لا شيء ، قلت: بلى لأنني وجدتها عندك احتفاظك بها دليل الإعجاب ثم إني سأسألك عن أشياء وأرجو أن تصدقي في جوابك عنها.

- ❖ هل هذا الشاب يفعل ما يرضي الله أم ما يغضبه؟
- ❖ هل هذا الشاب قدم خدمة جليلة لأمته أم أنه نشر فيها الفساد بكلامه الماجن وعباراته العاطفية؟

- لنفرض جدلاً أنه صادق وأن ما يتغنى به هي مشاعر حقيقية له وليس مجرد كلام يتاجر به هل من اللائق أن يعبر الإنسان عن مشاعره الخاصة أمام جميع الناس؟
- هل تعتقدين أن من ابتلي بالعشق والغرام إنما ابتلي به لكرامته على الله أم لهوانه عليه؟

فو الله لا يعذب الله قلباً امتلأ بحبه وطاعته بما يعذب به هؤلاء المساكين الذين أذلوا قلوبهم للهوى والعشق.

تقول: كنت أتحدث معها وكانت تجيب بخجل ولا ترفع عينيها إليّ كما كانت عندما كنت أصرخ في وجهها بالسب والشتائم.

وأخيراً قلت لها :أفعلي ما شئت ولن أبحث عن شيء في غرفتك بعد اليوم ، لكنني أثق وأجزم أن ابنتي التي أحبها وربيتها على كريم الأخلاق لن تعود إلى هذا مرة أخرى ، ثم خرجت وتركتها فإذا بي أسمع صوت بكائها وما هي إلا أيام حتى كتبت لي

رسالة اعتذار وندم ، واختفت هذه الصور إلى الأبد ولله الحمد.

٣- العدل في التعامل مع الأبناء ذكوراً وإناثاً:

وهذه النقطة تشكو منها كثير من الطالبات حيث يفضل الآباء والأمهات الذكور على الإناث ويفرقون بينهما في المعاملة ، بل يتعدى الأمر أحياناً إلى أنهم يوكلون إلى الذكر عقوبة أخته إذا أخطأت ولا يسألونه عن خطئه ، وهذا كله من الظلم الذي نهى الله عنه ،وقد قال ﷺ: « اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم » ، فلا تجوز التفرقة ولا التسلط ، وقد قال ﷺ في وصيته قبل وفاته « أخرج عليكم حق الضعيفين:اليتيم والمرأة » ، فالبنت ضعيفة بخلقها ولا يجوز الظلم في التعامل معها مما ينشأ عنه كره الفتيات للأسرة أو الإخوة حتى إن بعض الطلبات تعتقد أنها ليست ابنه حقيقية لهم لما تشعر به من قسوة في التعامل ، فتبحث عن الحنان والإكرام

بطرق ملتوية أو تعيش في دوامة الحزن وضعف الشخصية.

وختاماً: أسأل الله أن يصلح لكُن الذرية ، وأن يقر أعيننا بصلاح بنات المسلمين جميعاً أنه جواد كريم. .